الشروط السياسية المحددة لفتوى الجهاد الكفائي عند الشيخ محمد تقي الشيرازي

أ.م.د. عمار عبد الكاظم رومي

جامعة بغداد – كلية الآداب – قسم الفلسفة

ammar.a@coart.uobaghdad.edu.iq

المستخلص:

في دراستي هذه، بحثت الشروط السياسية المحددة لصدور فتوى الجهاد الكفائي، فقد صنفت هذه الشروط إلى ثلاثة أبعاد، ساهمت في صدور فتوى الجهاد الكفائي، و هي البعد الأولى و هو البعد الموضوعي و يمثل مجموعة العوامل الثقافية و الاجتماعية، التي سبقت و تزامنت مع صدور الفتوى، و البعد الذاتي و هو يمثل مجموعة العوامل الفكرية في ذهنية الشيخ الشيرازي، أي أن هذا التحليل هنا ينص حول البعد الخارجي و هو البعد الموضوعي و التي لم يكن للشيخ الشيرازي دورا مباشرا في تشكيلها، بصفتها الأساسية، في المرحلة السابقة على صدور الفتوى، و البعد الداخلي أي قراءة الشيخ الشيرازي لمفهوم الجهاد، و تحول هذه الفتوى من مرحلة التصور النظري إلى مرحلة التصور الواقعي، في صياغة الحدث الأجتماعي والتأسيس لواقع جديد، مثلت فيه الفتوى، البيان السياسي أو البرنامج السياسي للحركة الاجتماعية المناهضة أو الرافضة لوجود سلطة الأحتلال، و هنا يتمحور التحليل في بعده الأول، أي البعد الموضوعي حول عوامل، منها عامل العنف المفرط غير المبرر من قبل سلطة الاحتلال، و التي مورست ضد الجماهير، و عامل الرفض

الشعبي العام، لوجود سلطة الاحتلال، أضافة إلى عامل الاستغلال الاقتصادي الذي مارسته سلطة الاحتلال في استنزاف العاملين في النطاق الزراعي، والعامل الآخر هو في استيلاء سلطة الاحتلال على المواد الأولية في الصناعة بسعر منخفض، والعامل الآخر هو عامل الضغط السياسي الذي مارسته سلطة الاحتلال ضد الطبقة المثقفة من الجماهير، وتجلى ذلك من خلال عمليات الحجر الثقافي و الكبت الممنهج للاراء والافكار والتصورات، التي لا تتفق مع ميول سلطة الاحتلال، والعامل الاخر هو عامل السياسة الاقتصادية الخاطئة في فرض الضرائب والرسوم على كافة العاملين في النطاق الزراعي أو الصناعي، و العامل الاخر هو عامل شراء المواد الاساسية واحتكارها ومضاعفة ثمن بيعها إلى ثلاثة أضعاف، مما أثقل كاهل الجماهير وضاعت من معاناتهم، كل هذه العوامل، قد شكلت البعد الموضوعي، أي العامل المحدد الخارجي لصدور فتوى الجهاد الكفائي. اما فيما يتعلق بالبعد الذاتي، أي البعد المحدد الداخلي لصدور فتوى الجهاد الكفائي هو قراءة أو تصور الشيخ الشيرازي لمفهوم الجهاد و دوره في حياة الفرد أو المجتمع، أن هذه القراءة أو هذا التصور، يرتكز على من هم الذين يجب قتالهم، فيصفنهم إلى ثلاثة طوائف، وهم، الاولى وهي طائفة تضم الكفار المشركين من غير أهل الكتاب، والطائفة الثانية هم أهل الكتاب من الكفار، و الطائفة الثالثة هم البغاة، و بعد هذا التحديد ينتقل الشيرازي إلى بيان شروط الجهاد ويحددها بأربعة شروط وهي التكليف، فلا يشترط الجهاد على المجنون او الصبي، والثاني هو الذكورة، فلا يجب الجهاد على المرأة، و الثالث هو الحرية، وهو امتلاك الارادة في الفعل أو عدم الفعل، والرابع هو القدرة، فلا يجب الجهاد على من لا يمتلك القدرة، فلا يجب الجهاد على المريض أو الفقير أو الشيخ، هذه العوامل شكلت البعد الذاتي المحدد لفتوى الجهاد

الكفائي. والبعد الثالث هو جدلية البعدين المحددين (الموضوعي و الذاتي) و قد شكل البيان السياسي في صورة فنوى الجهاد الكفائي، و التي صاغت فيما بعد شكل المحددات الثقافية و الاجتماعية، و التي ظهرت من خلال العوامل الأتية، و هي عامل الاشتراك بين اهل المدينة و أهل القرية، في العمل الثوري ضد سلطة الاحتلال، و عامل الطابع الديني و الذي كان واضحا من خلال الفعل الثقافي و الفعل المادي، و عامل ظهور مفاهيم جديدة لم تكن موجودة قبل الثورة، قبيل مفهوم الاستقلال و مفهوم الوطنية، و عامل الامتداد الواسع للثورة في معظم مناطق العراق تقريبا.

الكلمات المفتاحية: البعد المحدد الموضوعي، البعد المحدد الذاتي، جدل البعدين المحددين (الموضوعي و الذاتي).

The specific political conditions for the fatwa of sufficient jihad according to Sheikh Muhammad Taqi Al-Shirazi

Prof.sist. Dr. Ammar Abdul-Kadhim Rumi
University of Baghdad-College of Arts-Department of Philosophy

Abstract:

In this study, I examined the specific political conditions for the issuance of the fatwa of sufficient jihad. These conditions were classified into three dimensions, which contributed to the issuance of the fatwa of sufficient jihad, and it is the first dimension, which is the objective dimension and represents a set of cultural and social factors, which preceded and coincided with the issuance of the fatwa. The fatwa, and the subjective dimension, which represents a set of intellectual factors in the mentality of Sheikh Al-Shirazi, meaning that this analysis here states about the external dimension, which is the objective dimension.

Which Sheikh Al-Shirazi did not have a direct role in shaping it, in its primary capacity, in the stage preceding the issuance of the fatwa, and the internal dimension, i.e. Sheikh Al-Shirazi's reading of the concept of jihad, and this fatwa shifted from the stage of theoretical perception to the stage of realistic perception, in formulating the social event and establishing a reality A new one, in which the fatwa represented the political statement or the political program of the social movement opposing or rejecting the existence of the occupation authority.

, for the presence of the occupying power, in addition to the factor of economic exploitation practiced by the occupying power, the analysis in its first dimension, i.e. the objective dimension around factors, including

the factor of excessive violence other than the depletion of workers in the agricultural field, and the other factor is the occupation authority's seizure of raw materials in industry at a low price, and the other factor is the factor of political pressure exerted by the occupying power against the educated class of the masses, and this was manifested through the operations.

Cultural confinement and systematic suppression of opinions, ideas and perceptions, which do not agree with the tendencies of the occupying power, and the other factor is the wrong economic policy factor in imposing taxes and fees on all workers in the agricultural or industrial scale, and the other factor is the factor of purchasing basic materials and Monopolizing it and tripling its selling price, which burdened the masses and lost their suffering. All these factors formed the objective dimension, i.e. the factor.

The external determinant of the issuance of the fatwa jihad sufficient. As for the subjective dimension, i.e. the internal determinant dimension of the issuance of the fatwa of sufficient jihad is the reading or conception of Sheikh al-Shirazi of the concept of jihad and its role in the life of the individual or society, that this reading or this conception is based on those who must be fought, and he describes them into three sects, They are, the first group is a group that includes the infidels who are not the People of the Book, the second group is the People of the Book from the infidels, and the third group is the transgressors.

After this specification, Al-Shirazi moves on to clarifying the conditions of jihad and defines it with four conditions, namely the assignment. The jihad is not required for the insane or the boy, and the second is masculinity, so jihad is not required for the woman, and the third is freedom, which is the possession of the will to act or to act. Failure to act, and the fourth is ability,

so it is not necessary to wage jihad against one who does not have the ability, so jihad should not be waged against the sick, the poor, or the old man. And the third dimension.

The dialectic of the two specific dimensions (objective and subjective) formed the political statement in the form of the intentions of the sufficient jihad, which later formulated the form of cultural and social determinants, which appeared through the following factors, which is the factor of participation between the people of the city and the people of the village, in Revolutionary action against the occupation authority, the factor of the religious character, which was evident through the cultural act and the material act, the factor of the emergence of new concepts that did not exist before the revolution, such as the concept of independence and the concept of patriotism, and the factor of the wide extension of the revolution in almost most areas of Iraq.

key words:Specific objective dimensions, definite subjective dimensions, controversy of definite dimensions (objective and subjective).

المبحث الاول: الابعاد المحددة الموضوعية

البعد المحدد الموضوعي هو ذلك البعد الذي يتكون من مجموعة من الاشتراطات والعوامل والمحددات، لا تكون نتاج جهد شخصي مباشر، فهي اعم و اشمل في التكوين، من ان تكون نتاج فردي، و هي اكثر امتدادا في التاريخ، من العمر الزمني البشري، فقد تمتد لاكثر من قرن من الزمان او اكثر بقليل أو اقل بقليل، هي تكون ايضا خارج جغرافية الحدث، و لكنها انتقلت اليه، بفعل التواصل المعرفي او تغيير محل السكن او الاقامة، اي اما هجرة العقول او هجرة الابدان، فبهذا المعنى هذه الشروط الموضوعية، لا يصنعها الفرد، اي فرد، بشكل مباشر، و لكن قد يساهم به بشكل نسبي محدود، والان بعد هذا التعريف بهذا البعد الموضوعي، انتقل الان، الى بيان تلك الظروف و الاشتراطات التي اتصلت به، اول هذه الظروف و الاشتراطات هو عامل الضغط السياسي و الذي يمكن وصفه بأنه " الحجر على الأفكار و الحيلولة بين ابناء البلاد وبين التعبير عن آرائهم والمطالبة بحقوقهم في تقرير مصيرهم بأنفسهم واختيار حكامهم و حكومتهم بملء ارادتهم، ثم المحاولات التي بذلتها السلطة لفرض نوع من السيطرة الاستعمارية المباشر على العراق "[1]وقد كانت تلك المحاولة من قبل السيطرة الاستعمارية، في منع الحرية الفكرية وممارسة العمل السياسي، تتفاوت في تأثيرها بين مجتمع المدينة ومجتمع القرية، وكان لتفاوت درجة التأثير، الأثر الكبير في استجابة جهود المثقفين لتنظيم انفسهم وتوجيه جهودهم نحو المطالبة بالحقوق الاساسية للإنسان العراقي، واما العامل الموضوعي الاخر فهو يتصل بالسيطرة استنزاف القدرة الاقتصادية بحيث

(١) الوردي، على: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث - الجزء الخامس - القسم الاول منشورات جامعة بغداد، بغداد - العراق، الطبعة الاولى، ١٩٦٩، ص٨ - ٩.

انه " ما ان استقر المقام بسلطات الاحتلال البريطاني في العراق، حتى تولت ادارتها السياسية اصدار البيانات و الاوامر التي هيمنت بواسطتها على مقدرات البلاد الاقتصادية لتعويض ما فقدته بريطانيا من الخسائر في الارض العراقية "[١]، ان هذا العامل الموضوعي الثاني يستهدف اغلبية الجماهير العراقية، و هم طبقة الفلاحين، وعند المقارنة بين العامل الموضوعي الاول و هو عامل الضغط السياسي، يمكن ان نلاحظ ان سياسة المستعمر حاولت تفكيك عناصر القوة في المجتمع العراقي في عشرينيات القرن العشرين الميلادي، وهما عنصر الطبقة المثقفة ومركز ثقلهم الاساسي في المدينة، وعنصر الطبقة العاملة مركز ثقلهم الاساسي في القرية، فلم تكن استراتيجية المستعمر فوضوية، فهي ممنهجة ومنظمة وتسير بخطرات مدروسة نحو تفريغ المجتمع العراقي من قوته الفكرية وقوته الاقتصادية، ولكن بالمقابل تعمل على خلق الفوضى في المجتمع العراقي، او لنقل ايجاد الفوضى و ادارتها، حتى تستطيع اشغال الجماهير بالمسائل الثانوية بعيدا عن المسائل الجوهرية في الاستقلال والحرية والدستور، ولم تقف سياسة المستعمر عند حدود هذين العاملين، وانما اضافة عاملا موضوعيا ثالث وهو عامل الاحتكار، بحيث قامت سياسة المستعمر على " الاستيلاء على مواردها بابخس الاثمان وردها بعد استخدامها في الصناعة الحديثة لتصريفها في أسواق هذه البلاد بأغلى الاثمان وهذا هو جوهر الاستعمار الحديث"[٢] ان هذا العامل الموضوعي الثالث هو ايضا ينسجم مع العامل الموضوعي الثاني، بوصفهما ذي طبيعة اقتصادية، ولكن نقطة الاختلاف

(١) ينظر – المظفر، كاظم: ثورة العراق التحررية – الجزء الاول دار الكتب و الوثائق الوطنية، النجف – العراق، الطبعة الاولى، ١٩٧٢، ص ١–٧.

(٢) ينظر – فياض، عبد الله: الثورة العراقية الكبرى، مطبعة الارشاد، بغداد – العراق، الطبعة الاولى، ١٩٦٣، ص ٦ – ٨.

بينهما، هو انه يمثل الخطوة اللاحقة لعملية السيطرة و الاستنزاف الاقتصادية، فبعد مرحلة السيطرة و الاستنزاف الاقتصادية تحدث عملية التحويل الاقتصادي، من خلال السيطرة على الموارد الاقتصادية ومن ثمت تحويلها بوصفها موارد اولية، وبيعها وتصريف مجدد في بلد انتاجها، فيكون الاقتصاد العراقي في مرحلة السيطرة الاستعمارية، قد تعرض لعملية الاستنزاف الاقتصادي والمالي على دفعتين، الدفعة الاولى من خلال السيطرة على الارض الزراعية و الدفعة الثانية من خلال تحويل المنتوج الزراعي الى مواد صناعية و اعادة تسويقها في السوق العراقي، مع ملاحظة ان راس المال محلي والارض محلية واليد العاملة محلية ولكن الادارة ليست محلية، وهذه الادارة المحلية هي ليست ادارة نشأت صدفة او من دون تخطيط مسبق فقد " اولت الدول الاوربية وخاصة بريطانيا اهتماما كبيرا بمنطقة الخليج العربي بصورة عامة و العراق بصورة خاصة و يعود تاريخ ذلك الاهتمام الى اواخر ١٦ و بدايات القرن ١٧ "[١]، وهذا النص الاخير يبين بأن الوجود الاستعماري لم ينشأ الصدفة ولم يكن ايضا ردة فعل ولم يكن ايضا متعل بخطاب سياسي وقتي، و انما بفعل تخطيط مسبق و عمل مبرمج، والعامل الموضوعي الرابع هو عامل فرض الضرائب والرسوم، فقد " اثقلت كواهل الجماهير العراقية بانواع الضرائب والرسوم، ثم استولت على موارد البلاد الزراعية، و تولت نهبها نهبا حثيثا جائرا الى الحد الذي بلغت فيه الضرائب ثلاثة اضعاف ما كانت عليه قبل الاحتلال "[٢]، هنا مع هذا العامل الموضوعي الرابع يتخذ المستعمر شكلا جديدا من الاستغلال في الانتقال

(١) بغوره، مريم: التواجد البريطاني في العراق ١٩١٤ – ١٩٣٢، رسالة ماجستير قدمت الى جامعة محمد خيضر – اشراف: محمد الطاهر بنادي، العام الدراسي ٢٠١٥ / ٢٠١٦، ص٢١

(٢) ينظر – الياسري، عبد الشهيد: البطولة في ثورة العشرين دار الرافدين، بغداد – العراق، الطبعة الاولى، ٢٠١٠، ص ١٠ – ١٤.

من طبقة المثقفين في عامل الضغط السياسي إلى عوامل الاستنزاف الاقتصادي والاحتكار الموجه ضد طبقة الفلاحين، إلى عامل فرض الضرائب والرسوم والذي هو موجه ضد طبقة العمال، وبهذا يكون المستعمر قد اطبق على حياة الانسان العراقي من ثلاثة جهات، في محاربة طبقة المثقفين بتنوعاتها، وطبقة الفلاحين، طبقة العمال، حتى يصل إلى مرحلة فرض شروطه، بعد وصول سياسة التجويع الممنهج وكبت الحريات، مراحلها النهائية، والعامل الموضوعي الخامس هو تراث المستعمر التركي والمستعمر الابراني، واقصد بهذا التراث ما خلفه المستعمر القديم (التركي والإيراني) للمستعمر الجديد (البريطاني) من الاثر المادي و الاثر المعنوي، في عقول واقتصاد الجماهير المحلية، و هو نتاج " الحرب بين الدولتين العثمانية و الصفوية إلى أنهما كانتا على طرفي نقيض، فقد كان الأتراك منذ دخولهم في الإسلام الحماة التقليديين للمذهب السني، اما الدولة الصفوية في فارس فقد قامت على انقاض دولة الآق قوينلو التركمانية السنية، وأسستها أسرة دعت إلى المذهب الاثني عشري، وأعلن الشاه إسماعيل في أعقاب انفراده بالحكم أن التشيع مذهب البلاد الرسمي، وقرر أن ينشر مذهبه إلى أقصى درجة ممكنة وتطلع إلى الاستيلاء على العراق أولا لوجود العتبات المقدسة (النجف و كربلاء) فيه وطمعا في خيرات سهول العراق، واستولى الشاه اسماعيل على العراق، وعمل على صبغة بالصبغة الشيعية ولو بحد السيف، وأراق بسبب ذلك دماء علماء المذهب السني، ثم سعى إلى نشر المذهب الشيعي في الاناضول، فأثار بذلك ثائرة السلطان العثماني، خاصة وأن الشاة إسماعيل كان يسعى إلى التحالف مع ملك المجر ضد العثمانين، فرد سليم الاول على استفزات الشاه اسماعيل الصفوي يان شن حربا شاملة على الدولة الفارسية "[1]وهذا العامل

(١) نوار، عبد العزيز سليمان: تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت

الموضوعي الخامس، قد جعل من الارض المحلية والانسان المحلي، وسيلة لتحقيق غايته السياسية و الاقتصادية والدينية، والتي اثرت في عقل وسلوك بعض الافراد، فكانت عامل موضوعي مساعد لتمرير وتنفيذ سياسة المستعمر الجديد، في اشاعي الوعي المجزء والثقافة الهامشية، والتي تسعى لعدم الارتفاع بالهم والعمل من الدائرة القريبة والضيقة الى الدائرة الواسعة و الاشمل، فيسهل بذلك على المستعمر الجديد، تنفيذ افكاره، من دون وجود معارضة حقيقة او ممانعة صادمة.

المبحث الثاني: الابعاد المحددة الذاتية

في هذا البعد، يكون الحديث و التحليل منصبا على شخصية الشيخ الشيرازي، بما يتصف به من الصفات الذاتية، التي اهلته ليكون الفاعل المؤثر في صناعة حدث الثورة، اتصف الشيخ الشيرازي بجملة من السمات اثرت في مسار الاحداث، بشكل ملحوظ، فقد كان الرجل كما تصفه النصوص التاريخية مثال في الاخلاق و الاستقامة، و كان لهاتين الصفتين الاثر الاكبر في اتساع دائرة مقلديه، مما جعل للشيخ تاثير مادي و معنوي في مساحة جغرافية كبيرة نسبيا، كما ان خطاب الشيخ العقلاني و المسؤول قد عمل على استقطاب البعض من علماء السنة، اضافة إلى ذلك علاقاته الايجابية مع العشائر العراقية، مما اضفى على حركته المجتمعية عامل قوة و امتداد، اضافة الى ذلك إلى امتلاك الشيخ قوة مالية مؤثرة من خلال الحصول عليها من جمع الاموال الشرعية من زكاة و خمس و صدقات، اضافة إلى ذلك اقامة الشيخ علاقات وطيدة امتدت من كربلاء كنقطة انطلاق، مرورا بالنجف و صولا الى بغداد و الكاظمية، اضافة إلى معرفة المستعمر البريطاني بقوة الشيخ، و تأثيره حتى

باشا دار الكتاب العربي، القاهرة – مصر، الطبعة الاولى، ١٩٦٨، ص٦.

خارج العراق و تحديدا في إيران و الهند الواقعتين تحت سيطرة المستعمر البريطاني، اضافة إلى ان خطاب الشيخ كان خطابا ينتقد فيه سياسة المستعمر البريطاني، من دون مجاملة لهم و التودد اليهم. ويمكن تلخيص ذالك من خلال طرح النقاط الآتية:

١. " مرجعيته لشيعة العالم في ذلك اليوم مما كان امره مطاعا لدى المقلدين كافة يضاف إلى ذلك اخلاقه الرفيعة التي كانت تشبه اخلاق النبي و الائمة الطاهرين عليهم السلام و زهده المنقطع النظير في زمانه، حيث كان يضرب به المثل، و كفى بذلك ظانه مات يوم مات و لم يملك دارا لعائلته.
٢. حزمه الكبير، فانه تمكن ان يستقطب السنة الى جانب الشيعة حنى ان علماء السنة كانوا يقولون، بان (الميرزا) مثل القلب اذا تحرك، تحركت الاعضاء، و اذا سكن سكنت الاعضاء.
٣. تدين العشائر العراقية تدينا واقعيا، و ذلك قبل ان تفسد الحضارة الحديثة قسما من الشياب بواسطة السفور و الخلاعة و الخمور و ما أشبه، و لا شك في أثر الايمان في الانسان أثرا بالغا و لذا العشائر ما كانت تدافع عن البلد بقدر ما كانت تدافع عن الدين و الفضيلة.
٤. امداد الثوار من العشائر و غيرهم بسيل من الليرات الذهبية التي كانت تأتي الامام الشيرازي من مختلف البلاد كايران و الهند و افريقيا و بلاد الشيعة في روسيا كبادكويه و قفقاز و غيرها، مما امن اقتصاديات الحرب، هذا بالاضافة إلى ما كانت تعطيه أهالي العراق من الأموال و الحقوق الشرعية، كالاخماس و الزكوات و الاثلاث و غيرها.
٥. تمكن الامام من استقطاب العلماء في النجف و الكاظمية و بغداد و غيرها، بالاضافة الى استقطاب علماء كربلاء، فانه﵀ جمع حول نفسه أكثر من سبعين

مجتهدا جعلهم رسل الثورة الى مختلف قطاعات الشعب من العشائر و المدن.

٦. كما ان تخوف الانجليز من الاضطرابات في الهند و ايران و غيرهما – حيث كانوا مقلدين للامام – كان له الاثر الكبير في الانتصار، بالاضافة الى ان الامام تمكن من فضح بريطانيا امام الراي العام العالمي، مما وقع العدو المحتل في حرج "[١].

بهذه النقاط يمكن تلخيص اهم سمات الشيخ الشيرازي و حركته الثورية، فما بين الامتداد الجغرافي لدائرة مرجعيته الدينية، و التي جعلت سماحة الشيخ الشيرازي، فاعلا و مؤثرا في المجتمع المحلي و خارجه، اضافة الى سموه الاخلاقي الذي يمتاز بالزهد و التواضع، مما أثر بشكل كبير في نفوس محيطه، و الذي دفع باتجاه تفاعل الجماهير من مثقفين و فلاحين و علماء دين مع رسائله و توجيهاته، أضافة إلى عامل الحزم الذي امتاز به سماحة الشيخ الشيرازي، و قد اتضح ذلك من خلال ادارة للثورة و موقفه من المستعمر، أضافة إلى عامل دعوة سماحة الشيخ إلى فكرة الوحدة الإسلامية، لغرض مجابهة المستعمر، و عدم فسح المجال للمستعمر لاستغلال الاختلافات الفقهية بين المدارس الفقهية، للنفاذ إلى روح و وعي الإمة الإسلامية، و لقى هذا التوجه لدى الشيخ الشيرازي، تفاعلا ايجابي من قبل ممثلي فقهاء المدارس الاسلامية الآخرى، و مما زاد من التفوق الثوري، هو الايمان العميق والحاسم لدى الجماهير، باهمية و الدور الفاعل و الموجه للشيخ الشيرازي، و قد انعكس ذلك بوضوح الدور الذي قامت به الجماهير و سرعة الاستجابة لفتوى الشيخ الشيرازي، في مواجهة المستعمر و سياسته و رفض التعاون معه، و لم تكن

---

(١) ينظر – لونكريك، ستيفن هيمسلي: اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخياط، مطبعة النقيض الاهلية، بغداد – العراق، الطبعة الاولى، ١٩٤١، ص ١–٢٣ – ٢٩– ٤٩.

الثورة لتبدأ و تستمر من دون وجود التمويل الاقتصادي، فقد تنوعت مصادر التمويل من الاموال الشرعية و التبرعات من اجل توفر ما يلزم، لتحقيق المطالب الثورية الى واقع عملي يومي، و لم تكن هذه الاموال تأتي من مكان واحد و انما من امكنة مختلفة، مما يظهر مدى الانسجام مع اهداف الثورة، ليس في العراق فقط و انما من خارج العراق ايضا في بلدان مختلفة من الهند و روسيا و إيران،اضافة الى ان الشيخ الشيرازي قد دعمت حركته الثورية بمجموعة من العلماء حتي يكسب الثورة، زخما علميا، فتتسع دائرة المنضمين للثورة، فتصبح للثورة قيادة جماعية من مجموعة من العلماء المعروفين، و الذين هم مؤثرين و فاعلين في المجتمع، و لهم قاعدة جماهيرية، فتنضم هذه القواعد الجماهيرية إلى تلك القيادة الجماعية، التي شيدها الشيخ الشيرازي، و من خلالهم يقود الثورة و يوجها. و الذين تنوع عملهم بين المدينة و القرية، لكي يتم مخاطبة كل طبقات المجتمع من الطبقة المثقفة و الطبقة الفلاحية و الطبقة العاملة، و أضافة إلى ذلك كان هاجس المستمر الملازم له، هو الخوف الدائم له، من اتساع دائرة التمرد و الثورة و الممانعة، حتى تصل إلى خارج العراق، و بذلك لا تخسر السياسة الاستعمارية منطقة العراق فقط، ولكن من الممكن ان تخسر مستعمراتها فيها، في إيران والهند، و بذلك تخسر نفوذها السياسي و العسكري، و ينهار مشروعها في السيطرة على منطقة الخليج، لهذا كان من الضروري لها اعادة ترتيب اوراق العمل السياسي و العمل الاداري، بحيث كان من ضمن ذلك، اقامة تغيرات ادارية، و مراجعة اسلوب التعامل من افراد المجتمع، في تغيير اداري المناطق، و لكن من دون التغيير في الاستراتيجية الكاملة للمشروع الاستعماري، و التي تقوم على زرع فكرة ان هذه المنطقة لا تتمكن من ادارة نفسها بنفسها، إلا من خلال وجود المستعمر الاوربي او العقل الغربي، و الذي صدم بثورة

العراق، و رفض العراقيون للاستعمار و اتباعه، من خلال فتوى الشيخ الشيرازي و تفاعل العراقيون مع هذه الفتوى.

المبحث الثالث: جدل الابعاد المحددة (الموضوعية و الذاتية).

في هذا الجدل سوف اتناول بالبحث و التحليل مسارات الثورة و تحركات الثوار و علاقات القيادة الثورية مع قواعده الثورية، يتركز هذا الجدل، حول امتدادات ثورة العشرين خارج العراق، خصوصا في ايران او الهند او افغانستان، " لما صدرت فتوى الشيرازي التي ايدها سبعة عشر من علماء كربلاء و وضعوا أختامهم عليها، ثم ارسلت نسخ منها إلى بعض مدن و عشائر الفرات الاوسط و كان الغرض من ذلك ترويج الدعاية للجمعية الإسلامية و منع الناس من قبول الحكم البريطاني و حثهم على المطالبة بالاستقلال، من الممكن القول ان فتوى الشيرازي كانت عاملا مهما في تطوير الوعي السياسي في العراق، فهي قد جعلت الدين و الوطنية في اطار واحد، و هذا امر جديد لم يكن الناس يألفونه من قبل، و بذا اصبح الوطني متدينا و المتدين وطنيا، و انتشر بين الناس الحديث المنسوب إلى النبي و هو (حب الوطن من الايمان) و صار شعارا للحركة الوطنية الجديدة "[1]. يمكن تقسيم التفكير السياسي لدى الشيخ الشيرازي الى ثلاثة خطوات اساسية و هي: الخطوة الاولى – هي خطوة " تأسيس منظمة الجمعية الإسلامية: فعند انتهاء الحرب العالمية الاولى، و احتلت القوات البريطانية العراق سنة ١٣٣٦ هـ تم اعلان الانتداب في البلاد، الامر الذي ادى إلى مخالفة مراجع و علماء الشيعة في العراق لهذا الاختيار، فأسس الشيخ محمد رضا نجل الميرزا محمد تقي الشيرازي منظمة تحت عنوان الجمعية الإسلامية)) و

(١) آل فرعون، فريق المزهر: الامام الشيخ محمد تقي الشيرازي – يشكل الحكومة الإسلامية في العراق مكتبة الامام المهدي (عج)، بغداد – العراق، ١٤٠٤ ه، ص ٧ –٨.

قد ساهم فيها رجال دين معروفين مثل السيد هبة الدين الشهرستاني و عبد الكريم عواد و حسين القزويني و الغاية تأسيس هذه الجمعية هو تحرير العراق و التصدي لانتداب بريطانيا "[1]. تميزت الخطوة عند الشيخ الشيرازي من خلال العمل على تنظيم جهد مقاومة سياسة المستعمر بواسطة جمع جهود النخبة من العلماء، و توجيه هذه الجهود، فان العمل الفردي مهما كان كبيرا و متواصلا الا انه يبقى محدود التأثير، بالمقارنة مع الجهد الجمعي و الذي تطرح فيه افكار مختلفة و متنوعة، للوصول الى صيغ عملية، و قد اثمرت هذه الجمعية، في وقت مجابهة المستعمر، و ادارته للثورة العراقية، بالتنسيق مع الشيخ الشيرازي، و قد كان الغرض الاساسي و المعلن، الذي يكمن وراء تأسيس هذه الجمعية هو العمل على الاستقلال و الوقوف بالضد من المشاريع الاستعمارية. و"الخطوة الثانية – هي خطوة الرسائل: ان الميرزا محمد تقي بادر للقيام بطرح قضية استقلال العراق و مقاومة المحتلين البريطانيين لتلك البلاد في الساحة العربية والدولية، فكتب بعض الرسائل بهذا الشأن:

١. أرسل كتابا مشتركا هو و عدد من العلماء و بعثه إلى حاكم الحجاز الشريف حسين، مطالبا اياه دعم العراقيين مقابل اعتداءات المتجاوزين.
٢. أرسل كتابا آخر إلى الأمير فيصل في دمشق طلب منه دعم مطالب الشعب العراقي، و نشر ظلامية العراقيين إلى الصحافة الحرة في كل انحاء العالم، و أظهارها صريحة إلى الحكومات الأوربية و الامريكية للحصول على مقاصد الشعب العراقي العالية.
٣. بعد فترة قصيرة من انطلاق عمل الجمعية الإسلامية، بادرت بريطانيا

---

(١) الوردي، علي: المصدر نفسه، ص ١٠٤

https://ar.wikishis.net/view/

ينظر – الجبوري، كامل سلمان: محمد تقي الشيرازي.الناشر: ذوي القربي، قم – إيران، الطبعة الاولى، ١٣٨٥ ه، ص ١١-٢٨.

بالقبض على هذه الجمعية و نفيهم ففي شهر ذي القعدة سنة ١٣٣٧ هـ اعتقل ستة من أعضاء هذه الجمعية، وبعثوا إلى بغداد كي يتم نفيهم إلى الهند، و بعد ان علم الميرزا الشيرازي من هذا الحدث أرسل كتابا إلى ارنولد ويلسون الحاكم البريطاني محتجا على القرار، ومطالبا باطلاق سراحهم، فسخط الميرزا على هذا الأمر، وعزم على مغادرة العراق نحو إيران حتى يصدر من هناك فتوى الجهاد ضد بريطانيا، عندما تم نشر هذا الخبر أرسل إلى الميرزا كتب عديدة من النجف والكاظمية وبقية المدن العراقية لاصطحابه إلى إيران، فهذا القرار كان سببا لعودة الذين تم نفيهم في اقل من اربعة اشهر الى الوطن"[1]. ان هذه الخطوة كانت مكملة لجهود الشيخ الشيرازي في الخطوة الثانية، و التي هي خطوة التواصل مع الشخصيات الفاعلة في المشهد الديني و السياسي، فما بين تلك الرسائل و تنوع الشخوص و المضمون، كان الغرض اعلام العالم من خلالهم رفض المرجعية لسياسة المستعمر ورفض الجماهير لهذه السياسة، وابلاغهم بطموح الجماهير في الحصول على الاستقلال و تحرير الارض والانسان، من كل اشكال الظلم و الاستغلال، واضحت هذه الرسائل مكانة والقوة التي تمتلك المرجعية المتمثلة بسماحة الشيخ الشيرازي، والتي بالمقابل جعلت من المستعمر يراجع سياسة الاستعمارية ويعيد ترتيب اوراق. و"الخطوة الثالثة-وهي خطوة تحريم العمل مع البريطانيين: بدات صفحة جديدة من المساعي لتعزيز المقاومة

(1) https://ar.wikishis.net/view

ينظر - نظمي، وميض جمال عمر: الجذور السياسية و الفكرية و الاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦، ص ٩٧ - ١٢٥

الشاملة ضد الاحتلال البريطاني سنة ١٣٣٨هـ / ١٩٢٠م، فأصدر الميرزا الشيرازي كأول خطوة في هذا الشان فتوى تحريم التعيين و العمل في الدوائر التي تعمل بصالح بريطانيا وذلك في ٩ جمادى الأخرة سنة ١٣٣٨هـ / أول مارس ١٩٢٠م، و كانت حصيلة ذلك انه استقال عدد كبر من الموظفين، واستمرت هذه الوتيرة على هذا النحو. وقبل فترة قصيرة من اصدار الفتوى اجتمع الميرزا في شهر جمادى الاخرة سنة ١٣٣٨هـ و بصورة سرية بعلماء وشيوخ عشائر الفرات الاوسط وبموجبه تم قرار هجوم شامل من قبل الناس على الاحتلال البريطاني. و في ليلة النصف من شعبان سنة ١٣٣٨هـ (٢١ أبريل ١٩٢٠) انعقد اجتماع برئاسة الميرزا الشيرازي في منزلة و خلال هذا الاجتماع ناقش المشاركون كيفية القيام والتصدي للاحتلال البريطاني، وعرضوا عليه بتلك الجلسة معلوماتهم، وتعهدوا له بأن فيهم القوة الكاملة، فلم يزد في اول مرة على قوله اذا كانت هذه نواياكم و هذه تعهداتكم فالله في عونكم)) و بذلك اعلن الميرزا محمد تقي الشيرازي الثورة العراقية "[1].

لقد مثلت الخطوة الثالثة، قمت الصعيد السياسي وادارة الصراع، وهي تكمن في رفض التعاون والتعيين في الدوائر البريطانية، مما يجعل المستعمر في زاوية والجماهير و المرجعية في زاوية اخرى، وهذا عقد من موقف المستعمر اكثر، فهنا تحول الرفض الجزئي إلى رفض كلي و شامل، واصبح المستعمر معزول عن الجماهير، واربكت هذه الخطوة المستعمر، وخشيت من انتقال هذه الخطوة من العراق الى المستعمرات الاخرى الواقعة تحت الاستعمار

(1) https://ar.wikishis.net/view/

ينظر – آل طعمة، سلمان هادي: كربلاء في ثورة العشرين، بيسان، بيروت – لبنان، الطبعة الاولى، ٢٠٠٠، ص ٣٥ – ١٦٩

البريطاني، و لم تكن هذه الخطوة الثالثة في خطوات الشيخ الشيرازي، تخلوا من زرع الثقة في نفوس المقاطعين للدوائر الاستعمارية، و هو دافع ضروري و جوهري في العمل الثوري المنظم.

خاتمة:

لم تكن ثورة العشرين العراقية بمعزل عن طبيعة المجتمع المحلي، من حيث طبيعة اتخاذ الموقف من الاشياء، و الثورة بوصفها رد فعل عنيف على واقع مريض ومرير، هي لحظة مفاجئة في سجل التاريخ، ولكن لا يمكن ان تكون تلك اللحظة من دون تاريخ، فعلى الرغم من انها ثورة ورفض للمستعمر البريطاني ولكنها ايضا ثورة ورفض لصدقاء المستعمر، وهي ايضا ثورة و رفض للواقع الاجتماعي والاقتصادي الذي اسس له و رعاه المستعمر العثماني، فهي بالعموم رفض لكل اشكال وانواع الاستعمار، و لكن لحظتها كانت مفاجئة، وهذه هي طبيعة الثورة، فهي ينبغي ان تكون كذلك صامتة و هادئة و بسيطة، حتى كأنها لم تكن، وفي لحظة يسمع صوتها الاصم و يرى نورها البصير وتزلزل المستعمر واتباعه، هكذا كانت ثورة العشرين، التي خلقت واقع جديدا، وخلقت وعي جديدا، وبدأت معها الفتوى تشكل نقطة الانطلاق لبناء وعي سياسي جديد، و مع الفتوى كانت الادارة الناجحة لها، وكيف تحولت النصوص الى واقع عملي، بحيث ان كل هذا لم يكن ليكون لولا اجتماع جملة من الشروط، منها الاخطاء الكارثية في سياسة المستعمر، والتي كانت قامه على اساس ارضاء البعض في مقابل الكل، و تحكيم الكل لنفس المقياس، مما اضر بتصورات البعض من السياسة البريطانية، فان الفرد المحلي مختلف بين من هو ذي تأثير بسيط ومحدود وبين من هو ذي تأثير كبير وحاسم، ولم تقرأ السياسة البريطانية، التجربة السياسة العثمانية في العراق بتأمل ووضوح، والتي كانت قام

على اساس ترك المجتمع المحلي، يحل مشاكله بنفسه، واثارة البعض على البعض او الكل على الكل، تطبيقا للنظرية العثمانية في السياسة، وهي نظرية الحكم السائب، والسياسيات الاقتصادية الخاطئة من استنزاف المواد الاولية المحلية واعادة بيعها في السوق المحلية اضعاف الثمن واحتكار البضائع و السلع و التحكم بالسوق المحلية مما زاد من نسبة الفقر والبطالة، اضافة الى عدم ادراك المستعمر البريطاني للقيم الاصلية في المجتمع، مما صعد من موجه الغضب والرفض ضد الوجود والاستعمار البريطاني، اضافة الى ذلك زيادة الوعي و تنميته باتجاه الحصول على الاستقلال والحرية وهي مفاهيم جديدة لم تكن منتشرة قبل ثورة العشرين العراقية، والتي خشيت بريطانيا من امتدادها الى خارج العراق خصوصا في إيران المجاورة والهند البعيدة، الواقعتين تحت الاحتلال البريطاني، والتي جعلت بريطانيا تراجع سياسة في منطقة الخليج عموما، وهذا ما انعكس في تغيير الكادر الاداري من مفتشي الحكومة البريطانية، ونقلهم الى اماكن مختلفة، كجزاء للفشل الاداري الحاصل في التعامل مع الثورة والثوار، وهذا لم يكن ليحصل لولا وجود رؤية واضحة وصريحة متمثلة بشخص وشخصية الامام الشيرازي في انتهاج خطوات متسلسلة ومؤثرة وواقعية من تأسيس منظمة الجمعية الاسلامية، والتي كانت تمثل الاطار التنفيذي او الكادر المنفذ لتوجيهات الامام الشيرازي الى خطوة الفتوى، بوصفها البيان الاول لخط الشروع نحو العمل والتغير الثوري المرتقب الى خطوة قطع العلاقات مع الحكومة البريطانية، من رفض التعيين او التعاون معها باي طريقة او صيغة، كل هذا اصاب المستعمر بالشلل الفكري والعجز المادي، ففقد من خلال خطوات الامام الشيرازي الثلاثة كل امكانياته وادواته، وتحول من مستعمر يفرض رأيه بالقوة إلى طرف في معادلة يبحث فيها عن حل، ويرتب وضعه من اجل الخروج

الامن، و لو بعد مدة زمنية معقولة.

نتائج:

١. لم تكن ثورة العشرين العراقية، نتاج عوامل ذاتية فقط او موضوعية فقط، و لكنها نتاج الجدل الحاصل بين العوامل الذاتية الداخلية و العوامل الموضوعية الخارجية.
٢. توصلت سياسة المستعمر إلى تحقيق مجموعة من الاجراءات، كانت الغرض منها السيطرة المادية و المعنوية على الطبقات الشعبية المتنوعة.
٣. كانت الاستراتيجية الاستعمارية، قد اخذت بالاعتبار الاستفادة من التجارب السياسية السابقة، تحديدا التجربة التركية، في تعاملها مع مثقفي المدينة و فلاحي الريف.
٤. تعامل المستعمر في سياسته الاقتصادية، من خلال فرض الضرائب، في الحصول على موارد اضافية لديه، و لكنها فشلت في الاستمرار، لافتقار السوق المحلية، الى الانتاجية المستقرة.
٥. الحصار الثقافي الذي عمله المستعمر على طبقة مثقفي المدينة، كان له تأثير سلبي على المستعمر، من خلال تفكير المثقف المحلي في صيغ اخرى للعمل الثوري و الثقافي.
٦. لم يستفد المستعمر البريطاني من الاخطاء التاريخية الكارثية، التي يمكن ان تكون نقطة اللارجوع في السياسة، و هي نقطة الاستهانة بشاعر الاخرين، و التي تجلت بوضوح في سياسة الاحتكار.
٧. سياسة الاهمال المتعمد للزراعة و هو الاقتصاد المركزي المحلي حيث ان غالبية الجماهير هم يمتهنون وظيفة الزراعة، قد دفع باتجاه افقار الفلاح و بالنتيجة افقار المجتمع.

٨. لم تنجح السياسة البريطانية و التي كانت قامة على اساس عدالة اقل و تودد اكثر، في ارضاء غالبية الجماهير، مع التنوع في مراكز القوة فيهم او لديهم.

٩. كان المستعمر التركي في نظريته السياسية، نظرية الحكم السائب، اكثر نجاحا و واقعية من المستعمر البريطاني.

١٠. مثلت شخصية الامام الشيرازي، المرتكز و نقطة الانطلاق العفوية و ردة الفعل الطبيعية، من اجل تحرير الارض و الانسان.

١١. العمق و الهدوء و التركيز و الصدق في شخصية الامام الشيرازي عدلت من ميزان القوى، ورجحت كفة الحركة الوطنية و الاسلامية.

١٢. توظيف الامام الشيرازي لعوامل الصراع و ادارته لها، قد جرد المستعمر من عوامل القوة لديه او عطلها.

١٣. التوظيف للنصوص الدينية المقدسة من النص القرآني الكريم و النص النبوي الشريف، بشكل جعلهما عامل توحيد مواجهة المحتل.

١٤. لم تكن الثورة العراقية بمعزل عن فلسفة قيام الثورات في العالم حيث يصنعها المفكرون او المثقفون و ينفذها الاحرار و المضحون.

١٥. و كانت المطالبة بحكومة اسلامية يقودها امير عربي هو محصلتها.

قائمة المصادر

اولاً: الكتب العربية

١- آل طعمة، سلمان هادي: كربلاء في ثورة العشرين، بيسان، بيروت - لبنان، الطبعة الاولى، ٢٠٠٠.

٢- آل فرعون، فريق المزهر: الامام الشيخ محمد تقي الشيرازي - يشكل الحكومة الإسلامية في العراق. مكتبة الامام المهدي (عج)، بغداد - العراق، ١٤٠٤هـ.

٣- الجبوري، كامل سلمان: محمد تقي الشيرازي، الناشر: ذوي القربي، قم - إيران، الطبعة الاولى، ١٣٨٥ هـ.

٤- المظفر، كاظم: ثورة العراق التحررية - الجزء الأول، دار الكتب و الوثائق الوطنية، النجف - العراق، الطبعة الاولى، ١٩٧٢.

٥- نظمي، وميض جمال عمر: الجذور السياسية و الفكرية و الاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة.

٦- نوار، عبد العزيز سليمان: تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكتاب العربي، القاهرة - مصر، الطبعة الاولى، ١٩٦٨.

٧- الوردي، علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث - الجزء الخامس - القسم الاول. منشورات جامعة بغداد، بغداد - العراق، الطبعة الاولى، ١٩٦٩.

٨- الياسري، عبد الشهيد: البطولة في ثورة العشرين، دار الرافدين، بغداد - العراق، الطبعة الاولى، ٢٠١٠، ص ١٠ - ١٤.

٩- ينظر - فياض، عبد الله: الثورة العراقية الكبرى، مطبعة الارشاد، بغداد - العراق، الطبعة الاولى، ١٩٦٣.

ثانياً: الكتب المعربة:

١- لونكريك، ستيفن هيمسلي: اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخياط، مطبعة النقيض الاهلية، بغداد - العراق، الطبعة الاولى، ١٩٤١.

ثالثا: الرسائل والأطاريح

١- بغوره، مريم: التواجد البريطاني في العراق ١٩١٤ - ١٩٣٢، رسالة ماجستير قدمت الى جامعة محمد خيضر - اشراف: محمد الطاهر بنادي، العام الدراسي ٢٠١٥ / ٢٠١٦.

رابعاً: الانترنت

1- https://ar.wikishis.net/view/

2- https://ar.wikishis.net/view

3- https://ar.wikishis.net/view/